مقياس: النقد الأدبي العربي الحديث

السنة الثانية ليسانس (دراسات أدبية/ دراسات نقدية)

المحاضرة الخامسة: جماعة الديوان 1

1- التعريف بجماعة الديوان:

جماعة الديوان من أهم المدارس الأدبية والنقدية في العصر الحديث، وتمثل الانطلاقة الحقيقية لحركة التجديد في الشعر العربي الحديث، كما أحدثت ثورة كبيرة في النقد الأدبي.

و'جماعة الديوان' مصطلح يطلق على مجموعة من الشعراء النقاد؛ وهم 'عبد الرحمن شكري' (1886-1958م)، و'عباس محمود العقاد' (1889-1964م)، و'إبراهيم عبد القادر المازني' (1889-1949م).

وسميت جماعة الديوان بهذا الاسم نسبة إلى أهم إسهام نقدي قدمته وهو كتاب (الديوان في الأدب والنقد)؛ الذي ألفه العقاد والمازني عام 1921م، فكان شعلة الانطلاقة النقدية، وخطوة كبيرة في مؤلفاتهم، مع الإشارة إلى أن العقاد بدأ إسهاماته النقدية التجديدية عام 1907م من خلال مقالاته في جريدة الدستور.

إضافة إلى إسهاماتهم التجديدية في الشعر؛ إذ كانت بداية انطلاقة هذه الجماعة مع إصدار ديوان عبد الرحمن شكري (ضوء الفجر) عام 1909م، الذي اتضحت ملامح التجديد فيه؛ فلفت شكري الأنظار إليه، ونال كثيرا من التقدير، ثم تبعه المازني بإصدار ديوانه الأول سنة 1913م، وأخيرا ظهر الديوان الأول للعقاد (يقظة الصباح) سنة 1916م.

وقد كان لكتاب (الديوان في الأدب والنقد) أثر بالغ في التفات الناس إلى الاتجاه الأدبي والنقدي الجديد؛ إذ مثل ردة فعل ثائرة ضد ما كان سائدا في الساحة الأدبية والنقدية؛ فالديوانيون هم أول من عبر عن أفكار منظمة أحدثت ثقبا في جدار الكلاسيكية العربية، وتطلعا إلى بناء مدرسة حديثة في معنى الأدب وغاياته.

وعلى الرغم من عدم مشاركة 'عبد الرحمن شكري' في تأليف كتاب الديوان؛ إلا أن الآراء النقدية المبثوثة في الكتاب مشتركة بينهم، بحكم الثقافة التي اشتركوا في تلقيها، إضافة إلى الفضل والإسهام الكبير لشكري في وضع كثير من الأفكار والآراء التي أرست دعائم الجماعة، ويتعلق الأمر بمقدمات دواوينه ونصوصه الشعرية المعبرة عن تلك الآراء والأفكار، وكان العقاد يشير إلى فضل شكري في تأسيس الجماعة.

وقد عرفت جماعة الديوان بالجماعة دون (المدرسة)؛ لأسباب تتعلق بخصوصية استخدام مصطلح (الجماعة) ذلك أنه يقتضي الاجتماع ولا يقتضي التجانس أو التماثل، وهذا ما ينطبق على أعضاء جماعة الديوان؛ إذ إنهم مجتمعون ضمن إطار عام وهو المدرسة الرومانسية أو الاتجاه الوجداني، ومتقاربون في المرجعية والأهداف، يقول العقاد: "إن هناك مسائل كثيرة تتفق عليها آراؤنا في الأدب ومذاهب الثقافة العامة نحن والزميلان المازني وشكري؛ سواء في مقالات الصحف والمجلات، أو فصول الكتب والمصنفات، ولا غرابة في هذا الاتفاق مع العلم باشتراكنا في دعوة واحدة، واطلاعنا على مراجع واحدة، وتبادلنا الحديث سنوات طوالا في مختلف الشؤون وعوارض الأخبار والأفكار"، إلا أن الناظر في آرائهم النقدية ونتاجاتهم الأدبية يلحظ جوانب اختلاف واضحة بينهم –سنحاول عرض بعضها حين نعرض لمناقشة آرائهم النقدية–.

2– المنطلقات الغربية لجماعة الديوان:

تأثرت جماعة الديوان بالرومانسية الإنجليزية، وهذا راجع إلى ثقافتهم الإنجليزية، التي اتصلوا من خلالها بثقافات أخرى، وهذا التأثر يظهر في الروح والنظرة إلى الحياة، وفي موقفهم من الشعراء والنقاد الذين سبقوهم مباشرة؛ يقول العقاد: "وأما الروح فالجيل

الناشئ بعد شوقي كان وليد مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي، كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر، وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى، ولا أخطئ إذا قلت: إن (هازلت) هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد؛ لأنه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون، وأغراض الكتابة، ومواضع المقارنة والاستشهاد".

يشير العقاد إلى إعجابه وشعراء ونقاد عصره بآراء 'وليام هازلت' النقدية، وتأثرهم بالمدرسة الإنجليزية في الشعر والنقد وإسهامها في انفتاحهم على الآداب الغربية الأخرى؛ فقد كانت قراءاتهم عميقة ومتنوعة، إذ كانوا يطلعون على كل جديد في أوروبا من آداب ومذاهب فنية عن طريق الكتب والمجلات، ولم تمنعهم الثقافة الغربية من الاتصال بالتراث العربي؛ فقد اطلعوا على روائع الأدب العربي القديم، خاصة ما رأوا منه أنه يقترب أو يوافق ذوقهم الجديد ويناسب ذوقهم الوجداني؛ كابن الرومي والمتنبي والشريف الرضي وأبي العلاء المعري... وغيرهم.

كما يشير العقاد إلى اشتراكه وزميليه المازني وشكري في هذا الانفتاح الثقافي ويشيد بهما في قوله: "لم أعرف قبل شكري ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية وما يترجم إليها من اللغات الأخرى، ولا أذكر أنني حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت عنده علما به، وإحاطة بخبر ما فيه، وكان يحدثنا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها، أما المازني هو الآخر فحظه من العربية كما حظه من الإنجليزية قوي للغات".

والحقيقة أن الثقافة الخاصة بجماعة الديوان قد ميزتهم عن جيل الإحياء الذي لم يعرف مثل هذا الثراء والانفتاح الثقافي.